مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) حزيران سنة ١٩٢٦ م الموافق ذي القعدة وذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ

المعلمة الاسلامية

Encyclopédie de L' Islam

متى ارتقى العلم في أمة لا تقنع من تدوينه بنتف قليلة مبعثرة بل تطلب التفصيل والتمحيص والتنسيق ، وتقريب اصوله وفروعه على المتناول ، هكذا كانت العرب يوم وضعت أسس العلوم عندهم . فكم من معلمة ، او موسوعات او دائرة معارف ، لهم في الحديث والسير واللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا وغيرها من العلوم التي خاضوا عبابها ، دونوها وجودوا في نسقها ، ولا تزال الى اليوم يستفاد منها ويدهش المنصفون من وضعها ، وينسج الغربيون أصحاب المدنيات الحديثة على منوال علماء العرب في وضع المعاجم والمعلمات تسهيلاً على الناس في التعليم . قال العلامة براون[1] الانكليزي: ألف العرب الكتب في علم تقويم البلدان وتخطيطها على طريقة لم يؤلف مثلها ، وكتبهم العربية في التاريخ أوسع الكتب وأدقها في نظري ، وبعض المؤلفات العربية في التاريخ لم يكتب على نسقه في اوربا . ثم ذكر كتبهم في التاريخ والفلسفة وتحدى أمته التي تفاخر بدائرة المعارف البريطانية بجماعة من كبار اهل العلم في العرب ألفوا معلمة اسمها « اخوان الصفاء » بينما كانت اوربا في دور الهمجية . وقال العلامة[2] هيس السويسري في معنى تساهل الوطنيين بمصر بدراسة المدنية الاسلامية البديعة: اننا (اي اهل اوربا) نعجب بها لما نقرأه من آياتها في كتب مشاهير المؤلفين أمثال ياقوت والبيروني والخوارزمي وابن خلدون الخ .

(١) من خطاب له في مأدبة دار الندوة الانكليزية أمام جماعة المصريين سنة ١٩٠٧ (١٣٢٥ هـ) (المقتبس م٢ ص٤٩٧) . (٢) مجلة المجمع العلمي (ج٣ ص٢٦) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد عاش اهل اوربا زمناً لا يعرفون عن الاسلام والعرب الا ما تسمح بمعرفته قساوسة البيع والديارات ، او تنقله ألسن العامة من التجار والباعة وزوار القبر المقدس في ايليا ، حتى اذا كانت الحرب الصليبية المشؤومة واختلط الغربيون بالعرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية وأخذوا يدركون بعض الحقائق و يوقنون ان ما كان بعض رجال الدين يلقنونهم اياه عن العرب فيه ما فيه . وما برح امر الوقوف على أحوال الاسلام والعرب يرتقي سنة عن سنة حتى قوي الاستشراق في الغرب ، وأخذ علماء المشرقيات ينشرون في مطبعة ليدن في هولاندة ، منذ أوائل القرن السابع عشر ، كتب علماء العرب في التاريخ والجغرافيا والادب والفنون والفلسفة . وما برحت هذه المطبعة على ما تعاورها من الأيدي سائرة سيراً متساوقاً لنشر أمهات هذه الكتب التي تتألف منها اليوم خزانة كتب تعد من أهم خزائن أسلافنا ، ولولا ما نشروه لبقي جزء كبير من مدنية العرب في طي الغموض الى اليوم .

اول معلمة عن الشرق أنشأها هربلو[1] من علماء المشرقيات في فرنسا منذ اكثر من قرنين ، ولكن هذه المصادر عن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية لم تكن متوفرة توفرها اليوم ، ولا كان الاختصاء في العلوم بلغ هذا المبلغ من الدقة في عصرنا . ثم ان معلمة عملية يراد ان يستفاد منها لا يتأتى اليوم ان تعد شيئاً مادام المنفرد بانشائها واحداً مهما بلغ من ضلاعته في العلم والبحث .

---

(١) هربلو واسمه (Barthélemy de Herbelot de Molainville) هو من علماء المشرقيات في فرنسا ولد وعاش في باريز (١٦٢٥—١٦٩٥) عينه فوكيه وزير مالية فرنسا أميناً للسر ومترجماً من اللغات الشرقية وقد أظله كولبر وزير فرنسا الكبير في عصره بظل حمايته ورتب له الملك لويز الرابع عشر رزقاً . كان استاذاً للغة السريانية في (كوليج دي فرانس) وقد طارت شهرته بالكتاب الذي ألفه واسمه « المكتبة الشرقية او المعجم العام » الحاوي كل ما فيه معرفة شعوب الشرق وتاريخهم وتقاليدهم الحقيقية ولا يزال هذا التأليف يرجع اليه العلماء وقد اكمله غالان (Galland) من علماء المشرقيات من الافرنسيين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولطالما جرى البحث[1] في الغرب ولاسيما في مؤتمرات المستشرقين الدولية ، في الحاجة الماسة الى معلمة اسلامية تجمع شتات جميع أبحاث علماء المشرقيات التي هيأوها عن الشعوب الاسلامية . ومثل هذا التأليف لا اثر له في الغرب حاشا « المكتبة الشرقية » ولم توضع المعلمات العربية والتركية بحيث تفي بغرض القراء من الغربيين ممن لا يعرفون هاتين اللغتين فهي اذاً لا تسد هذه الثلمة . ولقد دعي العلامة الاستاذ هوتسما في اوترخت من بلاد هولاندة، الى القيام بهذا التأليف، فنشر بمعاونة بعض علماء المشرقيات والسادات بريل في ليدن نموذجاً من المعلمة الاسلامية سنة ١٨٩٩ نال استحسان رصفائه ، فطلب معاونة المجامع العلمية في اوربا باسرها للانفاق على هذا المشروع ، فأجابته الى طلبه وأمدته بالمال، فرضيت عندئذ مطبعة بريل ان تنشر هذا المصنَّف على نفقتها . ولم يقرر اولاً اللسان الذي يجب ان يُنشر به هذا الكتاب ، ثم وقع الاتفاق على ان ينشر بثلاث لغات (الالمانية والافرنسية والانكليزية) . قال السيد هوتسما: وهذا القرار اي نشر المعلمة الاسلامية بثلاث لغات مما يؤسف له، لان مهمة انشاء هذه المعلمة تطول بذلك وتصعب ثلاثة أضعاف ، وقد كان كما نال ، وأشق من ذلك ان نشرها على هذه الصورة يستلزم وقتاً أطول ثلاثة أضعاف للنشر وتزيد النفقات ثلاثة أضعاف .

ضم الاستاذ هوتسما اليه الاستاذ باسيه عميد كلية الآداب في الجزائر ليتولى تحرير النسخة الافرنسية، والاستاذ ارنولد في لندرا للقيام بالطبعة الانكليزية، فتولى السيد باسيه ومؤازروه جميع المقالات المتعلقة بشمالي افريقية (الجزائر وتونس ومراكش والسودان)، وجميع الابحاث المتعلقة بالبلاد الخاضعة للحكومة الانكليزية ماعدا مصر هي مما يرجع فيه الى السيد ارنولد ، وعامة البلاد مثل مصر والمملكة العثمانية باجمعها وفارس وآسيا الوسطى والهند الهولاندية (جاوة) الخ هي في عهدة السيد هوتسما . وعهد بالمقالات المختلفة في هذا الشأن الى علماء كفاة يوقعون على ما يكتبون ، وهم وحدهم المسؤولون عما تحويه . والغاية من هذه المعلمة علمية صرفة، وذلك ليحيط الناس حق الإحاطة بحال

(١) من كتاب تفضل بارساله الى كاتب هذه السطور العلامة السيد هوتسما رئيس تحرير المعلمة الاسلامية في ٢٩ حزيران ١٩١٤ (المقتبس م ٩ ج ١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشعوب الاسلامية و يطلعوا على تاريخهم ودينهم وفنونهم وعلومهم وجغرافية البلاد التي ينزلونها وتراجم المشهورين من رجالهم .

هذه هي الخطوط الاساسية للمعلمة الاسلامية ، ومابرحت بعد سبع وعشرين سنة من التوفر على نشرها لم تنجز ، «فقد[1] أُصيب العمل في المعلمة الاسلامية بعد الحرب بشيء من الاضطراب العام فسار سير السلحفاة ، وكان يُرى من العبث متابعة العمل خلال الحرب في عمل دولي عام . اما الآن فقد حسنت الحال وان كنت لا آمل وانا في سن عالية من الشيخوخة ان أرى نجاز المعلمة التي أصبح اتمامها مضموناً . ولبلوغ هذا الغرض طلبت مؤازرة تلميذي الاستاذ وانسنك في ليدن يساعدني في انشاء هذه المعلمة فبادر بنشر الجزء الاخير وفيه المقالات التي تبدأ بحروف S — Z فظهر منه اربع كراريس ، والجزء الثاني الذي يبدأ من حرف F الى K قد تم تقريباً وبقيت حروف L الى R وهذا ما يشغلنا ايضاً عدة سنين .

« تعاورت الطبعات الافرنسية والالمانية ايدي كثير من المنشئين غير مرة ، فقد أُصبنا بخطب عظيم بفقد رصيفي المأسوف له رينه باسيه في الجزائر ثم اتصل بي مؤخراً ما ارمضني وهو ان ابنه وخليفته في العمل هنري باسيه قد اعتبط ايضاً في رباط الفتح . اما النسخة الالمانية فقد تولى انشاءها الاساتذة شادي في همبورغ وريشار هارتمان في كنسبرغ وبوير في هاللي ثم السيد شادي للمرة الثانية والآن السيد هفنج في بون . وعصفت عواصف المنية بين المؤازرين ففقدت المعلمة من أشهرهم العلامة دي خويه استاذي في ليدن ، وفقدت من علماء الالمان مارتين هارتمان في برلين ، وسيبولد في توبنغ والمجري غولدصهير في بودابست ، والسويسري بين السيد فان برشم في جنيف والسيد سوتير ، والانكليزي السيد لونكورث ديمس ، والسيد مولنسكي في الجزائر ، واوستروب في الدانيمارك ، وغيرهم ممن قضوا في ساحات الحرب العامة .

« ومن أشهر من يؤازرون اليوم في المعلمة الاسلامية من علماء المشرقيات وهم زهاء خمسين رجلاً ، من الهولانديين وانسنك وجو ينبول وفون اراندونك وهؤلاء الثلاثة مستعربون ، ومنهم بوير للفلسفة الاسلامية ، وبوخنر للفارسيات ، وكريمير للتركيات .

(١) من كتاب للعلامة هوتسما كتبه الي يوم ١٠ نيسان سنة ١٩٢٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الالمان السادة شادي ور يشار هارتمان وبو ير وبيكر و برو كلمان ومور يستر ور يتر وميتفوخ وكاهل وفيشير وليتمان ، وهؤلاء كلهم مستعربون ، والاساتذة سو برنهايم وهرزفلد «للآثار» وستوك «للجغرافيا» وو يدمان وروسكا وشواي «للعلوم الطبيعية» وموردتمان ومانزيل وسوسهايم و بابنجر «للتركيات» وشادير «للفارسيات» وغيرهم . ومن الدانيمركيين الاساتذة بول و پدرسن وبورتمان، وهؤلاء الثلاثة من علماء العربية . ومن السويديين الاستاذ سترستين، ومن الروس الاساتذة بارتولد وكرنكوف ومينورسكي وكوفالسكي . ومن الانكليز الاساتذة ارنولد ومرجليوث ونيكلسون وهيج وبفريدج ورفون كوير وفير وغيرهم . ومن الافرنسيين الاساتذة هوار، ديتنغ ، كارادي فو ، مارسيه ، ايفير ، كور ، بل ، ماسنيون ، كولين ، كاباتون ، فيوليه ، ليفي بروفانسال ، فيت ، غودفروا دمومبين ، فرّان ، دلافوس ، بوفا ، كيليوم ، ديني پاريه ، فاكا . ومن الايطاليين الاساتذة جويدي ، غريفيني (توفي) ، نالينو ، بالاداشي ، ليفي دللافيدا . ومن الاتراك والشرقيين الاساتذة كوبريلي زاده فؤاد ومحمد بن شنب (الجزائر) وهدايت حسين (الهند) اه » . ومن المؤازرين ايضاً الاساتذة لامنس وهورفيتز وماكدونالد و يوسف عالي إسنوك هرغرون و كمفميير، ومن هؤلاء الاعلام في المشرقيات ستة وعشرون عالماً كلهم من اعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق . وليس بين المؤازرين في هذه المعلمة غير اربعة من المشارقة منهم عالم عربي واحد وهو الاستاذ الشيخ محمد بن شنب من علماء الجزائر ، وليس فيهم غير اميركاني واحد وهو الاستاذ ماكدونالد على ماتبين لنا . كما انه ليس فيهم احد من علماء المشرقيات في اسبانيا والبرتقال . وهاتان المملكتان من أشد الامم علاقة بالاسلام والعرب لان تاريخهما مدة ثمانية قرون كان في الجملة تاريخ العرب ومدنيتهم .

تصفحنا هذه المعلمة، ورجعنا اليها غير مرة، فكنا نعجب بابحاثها، ونستفيد من علم كاتبيها وتمحيصهم . ولاجرم فهي أمتع كتاب كتب على الاسلام والمسلمين في الغرب ، وهو أقرب الى الحقائق والتمحيص من كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن ، وعمل كهذا يولي العلم الغربي شرفاً واي شرف ، خصوصاً وان القائمين به هم في معرفة الشرق الاسلامي مجتهدون لامقلدون : ذكنوا بعض لغاته ومنهم من عاش بين أهله دهراً ، فاذا كتبوا وفوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الموضوع حقه ، واكثر مادتهم عربية اومن لغة اسلامية ، وقليل من موادهم مايكون بلغة اجنبية ، اللهم الااذا كان تأليفاً لاحد علماء المشرقيات ، وقد تكون مصادره الاصلية شرقية معتمدة . ولكتاب هذه المعلمة عناية خاصة بالعزو الى المصادر المنقول منهـا شأن علماء العرب في التغالي بتصحيح السند ، والولوع بالاحاديث مروية بأسانيدها ، ولو أورثت الكتاب طولاً وتكراراً .

وانا لنرجو من كل من عرف في هذا الشرق العربي ، احدى اللغات العلمية الثلاث التي صدرت بها المعلمة الاسلامية ، ان يطالعوا مقالاتها مطالعة إمعان وتدبر ، ليقفوا على مبلغ علماء الغرب اليوم من معرفة الاسلام والمسلمين ، وتوفرهم على البحث والدرس . ولو كان كل ما يكتب على هذه الديار مثلاً بأقلام محققين من تلك الحلبة التي تتألف منها لجنة انشاء المعلمة الاسلامية ، لما تسرب الخطأ الى السياسيين والاجتماعيين في الحكم على سكان هذا الشرق القريب . ونرجو من صميم فؤادنا ان تطول ايام صديقنـا العلامة هوتسما حتى يرى ثمرة عمله العلمي ناضجـة من كل وجه ، خدمة للعلم والادب جزاه الله عنهما خير جزاء .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net